

# ظـهـر حـدـيـثـا

سـرّ و غـرـب لـلـأـسـتـاذ عـلـى مـحـمـود طـه ( دـار إحياء الكـتـب العـرـبـيـة )

القول بأن الشعر هو فن وصنعة قبل أن يكون خيالا . ومن المفهوم بوجه عام أن هذه النزعة الجديدة إنما هي مغالاة بعض الشئ في ناحية من نواحي فن الشعر ، توازن وتقابل المغالاة في الناحية الأخرى — أى ناحية الخيال - التى كان يحنج إليها شعراء القرن التاسع عشر فى أوربا . ولا شك فى أن دولة الشعر يتنازعها هذان العاملان ويتعاور عرشها النزعتان فاذا أغرق بعض الشعراء فى ناحية أغرقت المدرسة التى تخلفهم فى الناحية الأخرى ، وتلك سنة الطبيعة ونستخلص من هذا الحديث أن الأستاذ على محمود طه ينحو فى شعره منحنى شعراء القرن التاسع عشر من الأوربيين . فهو شاعر الخيال قبل كل شئ . وهو شاعر باحساسه وقلبه قبل أن يكون بصنعتة ؛ وقد لا يهتم بهذه الصنعة أحيانا . ولكنه كذلك شاعر قد ظل يخرج شعره سنوات طويلة حتى صار من السهل عليه أن يفكر بالشعر قبل أن يكون تفكيره ثرا . وهذا هو

هل نستطيع أن نقول إن الأستاذ على محمود طه هو أشعر الشعراء فى مصر ؟ إن هذا القول فيه شئ من الجرأة قد يحتاج إلى تفصيل كثير ، وقد يرى فيه بعض الشعراء تحديا واقتتالا . والقول بهذا رأى الجرى يحتاج إلى بحث ودفاع وتحليل ليس هذا موضعه . لذلك لا نريد أن نعرض له . ولكننا نقول فى جرأة إن الأستاذ على محمود طه هو من أوائل الشعراء الذين يصح تسميتهم بهذا الاسم على حقيقته . أى نريد أن نخرج من صفوفهم أولئك الذين يرون فى الوزن والصياغة كل شئ ، أو أولئك الذين لا يجدون فى خيالهم الخصب ما يسعفهم على الشعر فيلجأون إلى تصيد المناسبات التافهة ، أما ذلك الفيض من الخيال الذى ينهمر فى رءوس الشعراء المطبوعين فانك لا تجده فى شعرهم . ولكن يجب ألا يعزب عن فكرنا أن الشعر فن وصنعة وليس الخيال وحده كافيا ، بل إن المنحى الجديد فى الشعر الغربى يحنج إلى

السبب في تلك السهولة التي تجعل من شعره شيئاً أقرب ما يكون إلى الموسيقى منه إلى الشعر .

أما نزعتة الخيالية فتبين في هذا الديوان الجديد ، كما تبينت من قبل فيما يقرب من عشرة دواوين أخرى نشرها ، وعرفها الناس وأقبلوا عليها أكثر مما عرفوا شاعراً آخر من شعراء مصر . فمن موضوعاته تلك المقطوعات التي كتبها بمناسبة زيارته لمنزل ريتشارد فاجنر الموسيقي الألماني العظيم الذي أقام فيه حيناً من الدهر في ضاحية من لوسرن ؛ أو على الأصح مكان المنزل الذي كان يقيم فيه الموسيقي العظيم ؛ فان ذلك المنزل ليس قائماً الآن وهو المكان الذي لحن فيه بعض دراماته الموسيقية .

ويمكنك أن تَمْضَى وقتاً لذيذاً مع

الأستاذ على محمود طه فتسمع منه اعترافاته ، أو ترنو معه إلى البحر والقمر في مدينة كان ، أو تسمع منه لحناً من فينا ، أو تتخيل المغرب العربي يتمثل في أندلسية عرفها الشاعر على بحيرة لوجانو ؛ تلك وغيرها هي صور الحياة التي يرغب أن يتمتع بها كل إنسان وإن كان لا يستطيع ذلك . فمشاغل الحياة عبء مضروب على أكثر الناس . أما تلك السعادة التي يجدها المترف في حياة يقضيها بين المناظر الجميلة والمتعة ، فذلك أمر مقصور على القليل من الناس الذين يعرفون قيمة الحياة الفنية ، وهذه هي الحياة التي ينقلها الشاعر على محمود طه صوراً ثابتة يستطيع بها المحروم أن يجد فيها عزاء عن حرمانه .

الاضطرابات الجنسية عند الرجل والمرأة للدكتور ابراهيم موريس الديك  
( مطبعة الاعتماد بمصر )

إني لأشعر دائماً بارتياح كلما عرض لي كتاب يبحث في موضوع من غير موضوعات الأدب ؛ لأنني إذا كنت أميل بطبيعتي للموضوعات الأدبية ، فإني أحس بنقص المؤلفات العربية التي تتخوض في مناحي المعرفة المختلفة التي

تعنى بها الأمم الأوروبية . ولا شك أن من بين العلوم التي تمس الأدب من قريب ، والتي لا بد لأديب العصر الحاضر أن يلم بها ، تلك العلوم التي تدور حول الإنسان وحياته في هذه البيئة الانسانية . ومن أخص ما يمس

موضوع الاضطراب الجنسى على أنواعه فى تفصيل وفى تبويب ، بحيث لا يفوت القارئ شئ من جوانب هذا البحث ، سواء من الوجهة الجسدية أو النفسية .

ويمكن أن نقول بوجه خاص ، إن الفصول التى تهتم الأديب من الكتاب أكثر من غيرها ، هى تلك الفصول التى بحث فيها الكاتب عن نظريات فرويد وأدلر ويونج ، وعن الصراع بين الجنسين ، وعن عيبه العائلى ، فهى مباحث جديدة باطلاع كل أديب وباحث اجتماعى .

ولسنا نحب أن نترك الكلام عن هذا الكتاب القيم دون أن ننوه بالبساطة وحسن الترتيب فى سرد الموضوعات ؛ وفى الوقت نفسه دون أن نأخذ على الكاتب عدم العناية باللغة بقدر ما كان يجب ، وهو وإن كان كتاباً علمياً فإن الكاتب أظهر فى أماكن عدة أن أسلوبه فى الشرح يكاد يكون أدبياً ، مما يجذب القارئ ، ولكنه لم يعن العناية الكافية بمراجعة كتابه حتى ظهرت فيه معائب كثيرة ، تدل على إهمال لقواعد اللغة أو فى مراجعة الكتاب مما كنا نرجو أن يبرأ منه .

الإنسان الناحية الجنسية . فلقد صار معترفاً بهذه الناحية وأثرها الكبير فى حياة الناس بعد مباحث فرويد ، وتغيرت الأوضاع ، فلم تعد الأبحاث بعد فرويد تدور على نزعة الخير والشر ، بل عرف أن هنالك أموراً مسيطرة على الإنسان هى جزء منه ، وهى التى تتحكم فيه أكثر من تحكم ذلك الشئ الفرضى الذى نسميه الخير أو الشر ، وهى أمور تؤلف جزءاً منه ومن تكوينه ، ومن أهم هذه الأمور تلك التى تنشأ عن الجنس .

غير أن هذا الموضوع لسوء الحظ قد يمكن أن يتصل بنزعات سيئة ، ويمكن أن يتخذ وسيلة لترويج كتب لها أغراض غير خدمة العلم . وقد يكون من الخير أن تحارب أمثال هذه الكتب . على أن الذى سرنى فى هذا الكتاب الذى كتبه لنا الدكتور الديك ، أنه كتاب خالص لوجه البحث العلمى ، ولكن التعقيد العلمى فيه لا يبلغ حدّاً ينفر الأديب والباحث الاجتماعى والباحث النفسانى عن قراءته ؛ فهو كتاب موطأ لكل مفكر على تنوع دراساته ، ولكنه لم يؤلف للجمهور غير المفكر .

هو كتاب علمى لدقته فى بحث

## من رمى الفطرة للأستاذ محمد قرقه على ( مطبعة بيروت )

هذا كتاب حقيق بالتنويه ، أنشأه كاتب لبناني يستحق التنويه كذلك ؛ ولعل لا أكون غالباً في القول إن زعمت أن هذا الكتاب وكاتبه سيكون لها في غد من الشأن ما يحمل مؤرخي الأدب في هذا الجيل على أن يفردوا لها فصلاً بعنوانه . . .

كاتب وكتاب يتحدثان عن قصة من أروع قصص البطولة الواثبة تتخطى القيود والسدود ولا تعباً بالعقبات التي تتكاثر طريقها حتى تنتهي إلى الغاية أو تكاد ، وتضع قدمها على أولى عتبات المجد !

ليست من بطولة القوة ، فما أخرى هذه أن تكون لوناً من بطولة الغاية التي تتمثل في ظفر وناب . وليست من بطولة الجسارة المتحممة على المهالك على أمل الظفر بأمنية بعيدة أو الموت دونها ؛ فيما أشبه هذه كذلك أن تكون فناً من فنون المغامرة . وليست بطولة الجريء الواغل الذي يخيل إليه من شدة اعتداده بنفسه أنه فوق كل ذي فوقية فلا يزال يلتقي الناس بوجه وقاح حتى يحملهم على التسليم أو الاستسلام . . . ليست بطولة من هذه البطولات المتكررة

الصور في كل مجتمع من المجامع البشرية ، ولكنها بطولة من نوع ممتاز لأنها بطولة إنسان ضعيف المنة عاجز الأداة مقطوع الأسباب ؛ ولكنه إلى ضعف منته وعجز أدواته واقطاع أسبابه — قوى الإيمان بانسانيته ، يحمله هذا الإيمان القوى على خطته لعل عربياً قبله لم يسلكها ليحمل الجماعة البشرية التي يعيش فيها على الاعتراف بأنه إنسان ؛ وبلغ ما أراد ، أو لعله بلغ أكثر مما أراد ؛ فكان إنساناً . . . بطلاً . . .

ذلك هو محمد قرقه على مؤلف هذا الكتاب !

وقد تعودت في هذا الحيز من هذه المجلة أن أعرض ما بين يدي من الكتب عرضاً مجرداً يعرف بها ويكشف عن موضوعها ، لا أكاد أستطرد إلى ذكر الكاتب إلا قليلاً من قليل حين تدعو إلى ذلك حاجة . فليعذرني القارئ اليوم إذا أنا عرضت له الكاتب قبل أن أعرض كتابه ؛ فان الكاتب هنا هو الموضوع الذي ينبغي أن يحتفل له مؤرخو الأدب العربي في هذا الجيل !

عرفته في بهو الفندق الكبير بيت مري في لبنان منذ أسابيع ، أو

عشرات من الصحف لمئات من القراء ، أو آلاف ، ويسأل نفسه وقد بلغت سنه بضع عشرة سنة : لماذا لا أتعلّم القراءة ؟ ثم لا ينتظر جواباً لسؤاله ؛ فلا يكاد يمضي قليل زمن حتى يصير قارئاً يميز أسماء الصحف بعضها من بعض ، ثم يترقى في تعليم نفسه حتى يقرأ عناوين الموضوعات في الجرائد التي يحملها للبيع ، ثم يترقى مرحلة أخرى حتى يقرأ الموضوعات نفسها ليعرف ماذا يبيع للناس من فنون الكلام . . . ثم لا يزال يترقى حتى يصير قارئاً له ذوق وإحساس في ورأى ؛ ويحتاج هذه المرحلة وثباً فاذا هو قارئ كاتب ولم يبلغ العشرين ، ولداته وأقرانه لا يزالون في المدرسة الثانوية أو في الجامعة يحاولون أن يتعلموا كيف يقرءون . وبغيره النجاح بالاستمرار والدأب فيقتنى الكتب ومعاجم اللغة يقرؤها في أمسيات الفراغ على ضوء مصباح الشارع ضناً بما في سراج البيت من زيت قليل ، ولا يزال في النهار يبيع الصحف ، وأحسبه في هذه الفترة قد صار نقيماً للباعة يملئ عليهم الرأي فيستمعون له ؛ وعرفه أصحاب الصحف فقرّبوه وأدّنوا منزلته ؛ إذ كان في يده دون غيره رواج صحفهم أو كسادها ؛ أليس قد جمع أعداد

هو الذي عرفني على الصحيح ؛ وكنت واقفاً بين طائفة من أهل الأدب ثمة ولقيت من أعضاء المؤتمر الثقافي حين تقدم إلى شاب قد مد يده للمصافحة وهو يقول ليعرفني نفسه : « محمد قره علي ، صحفي » . وبادلتة التحية ولم أزد ، وكأني رأيت صحفياً ككل صحفي من الذين يغشون أمثال هذا المجتمع حاجة أنفسهم أو حاجة صحفهم فلم ألق إليه كبير اهتمام . . . ثم أتيجت لنا فرصة للاجتماع ، أو لعلها قد أتيجت لي أنا ؛ وتحدث إليّ بقصته في تواضع وفي إيمان !

نشأ فقيراً معدماً ككل فقير معدم ، وفقد أمه وهو صبي ، وضاعت أسباب العيش بأبيه أكثر مما كانت ، فلم يدخل مدرسة ولم يتعلّم حرفاً ولا رسم حرف ، وخرج إلى الحياة يكدح لرزقه ورزق أبيه وأخته ولم يبلغ العاشرة ، فاحترف الخدمة في حوانيت التجار ، ثم مسح الأحذية ، ثم جمالا في الأسواق يحمل على كاهله الضعيف حاجات الناس من الأسواق إلى دورهم في سلة من القصب يضيق بحملها فارغة فتى في مثل سنه ساعة من نهار ؛ ثم يترقى من الحملالة إلى بيع الصحف وهنا يبدأ شعوره بثقل تبعته ، فهو أمي لا يميز جريدة من جريدة ، وفي لبنان

أو إلى أحمد أمين ، أو عبد الرحمن عزام — كل أولئك من أصدقائه وله في أنفسهم مكانة ؛ إنه زميل من زملائهم في الشعر أو في الأدب أو في السياسة ، وكان ماسح أحذية وحمالاً ، وبيع جرائد ؛ ولكنه اليوم أديب من أدباء لبنان . وحاول السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان أن يصطنعه فعين له وظيفة في الدولة ، فقبل الوظيفة ولكنه لم يقبل أن يصطنعه أحد ؛ فهو اليوم موظف ، وصحفي ، وشاعر ، وكاتب ، ومؤلف مشهور ؛ وهذا كتابه الأول «من وحي الفطرة» وقد كتب مقدمته الشاعر القروي الأستاذ رشيد سليم خوري ، ويقول في ختامها :

« رشح نفسك لرياسة الجمهورية يا محمد قره على وأنا أول من يمنحك صوقي ، ولن أوتر عليك إلا من يحمل شهادة تحمل من علامات الثقة بالنفس والاعتماد على الساعد والتمرن على مسح الأحذية ونقل الأمتعة وبيع الصحف أكثر مما تحمل شهادتك . إن البلاد لفتقرة إلى إبراهيم لنكلن لبناني ، فاذا لم يتفق فانظروا معي فتاة لهذا الوطن ! »

ولكن ما هذا الكتاب الذي يصف الشاعر القروي كاتبه بما وصف ؟

إحدى الصحف ذات صباح وأشعل فيها النار بأحدى ميادين بيروت وقد تخلق حولها الباعة من «صبيانها» مهللين ؛ لأن هذه الصحيفة كان لها مذهب في السياسة غير مذهبه ؟ هذا فتى يحاول « استغلال سلطة وظيفته » لتوجيه الرأي العام الوجهة التي يريد لها ؛ لقد اغتصب سلطة صاحبة الجلالة الصحافة فما أحرى أن يكون هو صاحب الجلالة . . . إن الصحافة توجه الرأي العام ، ولكنه هو يملك توجيه الصحافة !

وبرز اسمه بين أصحاب الرأي من . . . من باعة الصحف ؛ وأراد أن تكون سلطته في توجيه عملية فاصطنع الكتابة ، وترق مرحلة أخرى فصار صحفياً . . . إنه لم يزل حتى اليوم وقد جاوز الثلاثين ، يحرص على هذه الصفة ، ولكنه فيما أراه أكبر من صحفى . وعالج الشعر فبلغ مبلغاً ، ونشرت له الصحف المصرية والبنانية الراقية ؛ وغشى المجامع العامة فلقى الترحيب ، وتعرف إلى كبار أهل الأدب والسياسة فسرهم أن يعرفوه ، ولا يزال حتى اليوم يحتفظ إلى جانب صورة ماسح الأحذية ، والحمال ، وبيع الجرائد الجوال — صوراً أخرى تمثله يتحدث إلى شوقي ، أو إلى هيك

كذلك يقول ، وكذلك كانت حياته !

أين هذا الأديب اليوم بما كان؟ ولكنه لم يقنع بما بلغ ولم ينس شيئاً مما كان ، فلم يزل به إلى الماضي حنين وإلى المستقبل أمل عارم .

يقول في خاتمة قصة حياته :

« لقد كنت أبيع كتب الناس وُصفهم ، فأصبحت الآن بحاجة إلى من يبيع كتابي !

« أيها الباعة ، يا رفاقي ! أذكروا دائماً أن كل نسخة تبيعونها من هذا الكتاب هي حجر تزيحونه من طريقكم . لن أنسى أبداً أنني واحد منكم ! »

ويقول في خاتمة كتابه :

« وأسيتي وأنا في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب أن أعود بايع صحف أحمل إلى الناس آراء الناس وأفكارهم ، أى أن أكون مدرسة سيارة تغرى الناس ليقروا الناس ، فأبيع الفكر والقلم والقبيلة الذرية وسقوط وزارة وقيام وزارة بخمسة عشر قرشاً . . .

« أنا اليوم موظف صغير في الدولة ما أضعفنى اليوم وما أقوانى أسس ، ساعة كان كل صحفى يتمنى أن أرضى .

هو كتاب تقول عنه مجلة « الأديب » البيروتية : « وأعد المحرر كتاباً عن سيرة حياته ، سماه « من وحى الفطرة » نزولاً عند طلب رفاق الأُمس من ماسحى الأحذية ، والحمالين ، وبائعى الصحف وسكان الأكواخ الخشبية ؛ هؤلاء الذين خرج من صفوفهم الثألة ولم يخرج عليهم فكان خيط الألم بينه وبينهم طريق القلم . »

هو إذن قصة حياة ذلك الأديب على ما رويتها في إيجاز ؛ قد بسطها كاتبها في أسلوب فنى عذب ، وأضاف إليها طائفة من الفصول ، ومن الشعر ، هي أيضاً جزء من قصة حياته ، لأنها تصور بعض مراحلها في الحياة وبين الناس .

وهو أول كتاب يذيعه في الناس « نزولاً عند طلب رفاق الأُمس من ماسحى الأحذية والحمالين وبائعى الصحف . . . الخ » معتزلاً بهم ومعتزّين ، ليضرب به المثل لهم ولغيرهم من القراء على « أن الحياة صعيد واحد قسمه المجتمع — أو قل : تقاليد المجتمع — إلى مقاطعات ، وأن في إمكان الإنسان أن يقفز من مقاطعة إلى مقاطعة بقليل من المغامرة . وقليل من الجرأة ، والتطفل . . . »

« أتمنى أن أعود بائع صحف ، ووترقى من بين صفوف باعة الصحف  
لأنى أخاف أن أتعلم المساومة رئيس جمهورية آخر غير إبراهيم  
بنفسى . فهل يأمن الصحفيون يومئذ  
« كم صحيفة بعثها وكأنى كنت شر المصادرة والحبس الاحتياطي ؟  
أبيع معها شرف صاحبها فى الأسواق وهل يأمن أهل الأدب أن يتبعهم  
الرخيصة ! » قارئ ضيق الفكر أو ضيق الخلق  
ولكن صاحب « الشاعر القروى » فيسوقهم إلى المحاكمة بتهمة الخروج على  
يتمنى له غير ما يتمنى لنفسه ، ولعله النابوس ؟  
أن يبلغه يوماً فيصير رئيساً للجمهورية، من يدري ؟

محمد سعيد العريانه

الجامع الأعظم القرآنى لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ( مطبعة  
دار الكتب المصرية )

أصدرت دار الكتب المصرية الجزء السادس عشر من كتاب الجامع  
أحمد الأنصارى القرطبي . وهو مثل  
الأجزاء السابقة فى دقة التصحيح  
لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن  
وجود الطبع وجمال الرونق .

ع . م .